

II- السلالات البشرية

أ- تعريف السلالة: هي مجموعة من البشر يشتركون في خصائص جسمية وشكلية واحدة.

يعتقد معظم علماء علم الإنسان (الأنثروبولوجيين) أن البشر نشأوا في إفريقيا، ثم انتشروا تدريجيًا في أرجاء الأرض. شعوب ما قبل التاريخ. فقد لاحظوا أن جماعات الأدميين الذين عاشوا في أنحاء معينة من الأرض عدة آلاف من السنين يجنحون إلى الاختلاف عن جماعات أخرى عاشت في أماكن أخرى من العالم. فالعيش في مناطق تضم بيئات مختلفة أحد أسباب اكتساب الناس مظاهر مختلفة. فعلى سبيل المثال، يميل الأقوام الذين عاش أسلافهم أجيالاً عديدة في المناطق الشمالية من العالم - كشمالي أوروبا أو شمالي اليابان - لأن يكون لون بشرتهم فاتحًا. أما أولئك الذين يعيشون بالقرب من خط الاستواء - كأواسط إفريقيا أو جنوبي الهند- فيميل لون بشرتهم لأن يكون قاتمًا. وأما أولئك الذين يعيشون في بيئات بين هذين الطرفين، فيميل لون بشرتهم لأن يكون وسطًا بين الفاتح والقاتم (القمحي).

و ينتمي جميع البشر إلى النوع هومو سابينز ، ولكن العشائر البشرية تختلف من منطقة إلى أخرى. ولقد استخدم العلماء هذه الاختلافات لتصنيف الناس أجناسًا مختلفة، ومن ثم ابتدعوا أقسامًا عرقية للبشر بناء على الخصائص الطبيعية مثل، لون الشعر وملمسه، وشكل العينين.

ب- نظم التصنيف الجنسي العرقي

دأب العلماء منذ بداية تدوين التاريخ على تصنيف البشر بطرق مختلفة. وقد تباين عدد الأقسام التي يعتمد عليها كل واحد من هذه النظم. ولقد تأثر تطور نظم تصنيف الأجناس بثلاث نظريات رئيسية التالية:

1- نظرية الأجناس الثلاثة

كان المصريون القدماء والإغريق والرومان على صلة بأقوام ذوي بشرة قاتمة وشعر أجعد يعيشون في إفريقيا، كما أنهم كانوا يتصلون بأقوام يسمون بدويي البشرة الصفراء في آسيا، لمعظمهم ثنية من جلد جفونهم تمتد إلى الركن الداخلي (الموق) لعيونهم. وهكذا كانت المعلومات المحدودة عن سكان العالم في ذلك الزمان توحى بوجود ثلاثة أجناس من البشر: الأوروبي أو الأبيض، الإفريقي أو الأسود، الآسيوي أو الأصفر.

ثم أصبحت هذه المجموعات تعرف في النهاية بالقوقازية والزنجية والمغولية على التوالي. وقد دأب العلماء سنين كثيرة على محاولة تصنيف جميع العشائر البشرية وفقًا لهذه الأجناس الثلاثة، أو بعض الصور المحوّرة منها. فقد كانوا يعتقدون أن جميع الناس ينتمون إلى عدد محدود من الأجناس، وأن خصائص كل جنس ثابتة لا تتغير.

وقد أدّت الحقبة الرئيسية للكشوف الأوروبية فيما وراء البحار، والتي بدأت في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، إلى زيادة الاتصال بأقوام من حضارات شتّى، حتى أصبح من الواضح في القرن التاسع عشر الميلادي أنه ليس من اليسير إلحاق معظم سكان العالم بنظام الأجناس الثلاثة.

2- نظرية التطور

لما اتجه بعض البيولوجيين (علماء الأحياء) إلى تقبل نظرية التطور (النشوء والارتقاء) التي نادى بها عالم الغرب داروين، بدأ الرأي القائل بإمكان تصنيف البشر أجناسًا على أساس خصائص جسمانية ثابتة - بدأ هذا الرأي في التغير تغيرًا جوهريًا. وذلك أن معظم البيولوجيين - خصوصًا في المجتمعات الغربية - كانوا في أوائل القرن التاسع عشر يعتقدون أن جميع أنواع النبات والحيوان ظلت ثابتة على حالها من جيل إلى جيل. بيد أن البيولوجيين (علماء طبقات الأرض) وجدوا أحافير لنباتات وحيوانات تختلف عن الأنواع المعاصرة ، فقدموا بذلك الدليل المبدئي على أن الأنواع لم تكن ثابتة.

ومع أن بعض العلماء أدركوا عندئذ أن الأنواع يمكن أن تتغير، فإنهم لم يعرفوا كيف يكون الفرق. كانت فكرة الانتخاب الطبيعي كالذي يسير عليه التطور، هي التي أعانت العلماء الغربيين على فهم كيفية تغير الكائنات الحية على مرّ الأجيال الكثيرة. وترجم هذه الفكرة التي قدّمها عالم التاريخ الطبيعي تشارلز داروين في كتابه أصل الأنواع (1859م) أن عشائر الكائنات الحية يمكنها أن تتغير عبر الأجيال المتعاقبة من خلال تكيفها مع بيئاتها الطبيعية. وعندما طُبّق هذا الفهم الجديد لعمليات التطور من خلال الانتخاب الطبيعي، أظهر أن كثيرًا من الخصائص التي كان يُفترض ثباتها، والتي كانت تُستخدم في تمييز الأجناس، كانت في الواقع تكيفات تطورت على مرّ الزمان، استجابة للأحوال البيئية. ولقد اتضح لبعض العلماء أن الجماعات المتباعدة تباعدًا واسعًا يمكنها أن تكتسب خصائص متشابهة نتيجة تكيفها مع بيئات متشابهة، حتى وإن لم تنقسم علاقة سلفية حديثة.

3- نظرية الجنس الجغرافي

ابتدع بعض علماء الإنسان في الخمسينيات من القرن العشرين نظامًا جديدًا لتصنيف الأجناس، وذلك في محاولتهم التوفيق بين نظرية التطور والتباين المشاهد بين العشائر البشرية في العالم الحديث حيث قسّموا البشر أقسامًا رئيسية، أسموها أجناسًا جغرافية . وكانت هذه الأجناس مجموعات من العشائر التي تسودها مميّزات متشابهة. وقد اعتمد نظام شائع الاستخدام من تلك الأنظمة تسعة أجناس جغرافية: 1- الأسترالي 2- الآسيوي 3 - الإفريقي 4- الأوروبي 5- البوليني 6- الميلانيزي 7- الميكرونيزي 8- الهندي 9 - الهندي الأمريكي .

ويمكن القول إن تلك الأجناس الجغرافية كانت تنتشر على امتداد مساحات قارية رئيسية وسلاسل جزرية كبرى، ولكنها لم تناظر القارات دقيقة. فعلى سبيل المثال، شمل الجنس الجغرافي الأوروبي ، عشائر منتشرة في أوروبا، وفي الشرق الأوسط، وشمال الصحراء الكبرى في إفريقيا، كما شمل أيضًا أقوامًا منحدرًا من تلك العشائر في مناطق أخرى من العالم مثل البيض في أمريكا الشمالية وفي أستراليا.

وكان من المعتقد أن الأجناس الجغرافية قد نشأت بسبب الانعزال الناجم من الحواجز الطبيعية مثل المحيطات والجبال والصحارى. واعتمد هذا الرأي على أن هذه الحواجز قد فصلت جماعات من البشر بعضها عن بعض آلفًا عديدة من السنين، وهذا جعل العشائر تتطور في اتجاهات مختلفة.

وقد استخدم علماء علم الإنسان مصطلح الأجناس المحلية لوصف الأقسام الفرعية المتميزة من الأجناس الجغرافية. وكان بعض تلك الأجناس المحلية يضم ملايين الأفراد، في حين كان بعضها الآخر يضم جماعات قليلة العدد. وقد استخدم بعض علماء علم الإنسان مصطلح الجُنُيسات أو الأجناس الصغرى للأقسام الفرعية من العشائر التي تعيش في داخل الأجناس المحلية.

وقد مثل هذا النظام التصنيفي المفصل والموسّع تغييرًا جوهريًا في النظرة إلى الأجناس البشرية؛ فنظام الجنس الجغرافي راعى نظرية التطور، وكذلك الوراثة، مع إدراك أن العشائر تشكلها البيئة. ولكن، لم يكن بالمستطاع تقدير المعايير الجنسية بوضوح، وذلك لأن أفراد الأجناس المختلفة يمكن أن يتصفوا بالخصائص الجسمانية نفسها.

ب-أنواع السلالات

تمخضت التقسيمات والتصنيفات البشرية عن خمسة مجموعات جنسية ثلاثة منها رئيسية واثنان منها تتلاشى تدريجيا وهم .

اولا : السلالات الرئيسية

و هي أوسع السلالات انتشارا فوق سطح الأرض و تتفاوت القوة العددية لكل سلالة من السلالات الثلاث كما يتضح من التالي:

أ- السلالة القوقازية:

تنتشر السلالة في كل القارات العالم ، و هي اكبر السلالات حجما التي يبلغ عدد سكانها حوالي 2693 مليون(94)أي ما يقرب من نصف سكان العالم ، و اهم ما يميز ها لون البشرة الذي يتفاوت بين الشقرة و البياض في شمال غرب اوربا و منطقة البحر المتوسط ، و إلى البني في الهند و اثيوبيا، و يتفاوت شكل الشعر ما بين مسترسل و المجعد ، و لكن غالبية القوقازيين ذوي شعر مموج، كما يتراوح لونه بين الشقرة و الحمرة إلى البني بدرجاته المتفاوتة . و يتميز شكل الأنف بين البروز الواضح و الدقة المتناهية ، و هو ذو نسبة ضيقة مع وضوح بروزه في الوجه.أما بالنسبة للرأس فهو يتراوح بين بين الطويل و المتوسط. و العين عند معظم القوقازيين متسعة ، و يندر أن تكون منحرفة اما القائمة فهي تختلف كثيرا بين أفراد هذه السلالة ، غير أنا نجد بينهم في المجموع قامة قصيرة أو طويلة جدا.

و السلالة القوقازية من اوسع السلالات انتشارا في كل قارات العالم ، فهي تسود في كل اوربا و شمال إفريقيا و عرب آسيا و جنوب آسيا (الهند و بنجلاديش) و انتشرت في القارات العالم الجديد بعد الاستعمار الأوربي لهذه القارات.

و تنقسم السلالة القوقازية إلى مجموعات ثانوية إقليمية ، فهناك السلالة النوردية في الشمال م الألبية في الوسط و سلالة البحر المتوسط في الجنوب (بالنسبة لأوربا) و كل واحدة من المجموعات الثلاث يمكن تقسيمها أيضا على مجموعات أخرى .

ب- السلالة المغولية

تأتي السلة في المرتبة الثانية من حيث عدد سكانها الذي يصل إلى 2074 مليون نسمة، و يتسم أفرادها بعدة سمات تجعلها مميزة بين باقي السلالات ، فشكل الرأس يتراوح بين العريض و الطويل ، و شكل الأنف من مقعر إلى مستقيم و محدب، و لون البشرة أصفر مشوب بالبنّي او الحمرة ، و القامة متوسطة و لون الشعر أسود مسترسل ، غير أن ما يميز هذه السلالة شكل العين المنحرفة.و تنقسم هذه السلالة أيضا إلى مجموعات إقليمية ، منها مغول العالم القديم و مغول العالم الجديد ثم مغول المحيط الهادي.و ينقسم مغول العالم إلى القديم إلى سلالات أخرى إقليمية هي:

1- مغول القدماء في الشمال (السامويد)

2- الصينيون أو مغول الشرق

3- مغول جنوب شرق آسيا

4- الأندونسيون أو مغول الوسط

اما مغول العالم الجديد فيعرفون بالهنود الحمر أو الهنود المريكيون أو الأمريند ، و ينقسمون على إلى قسمين ، الأمريند الهامشييين و امريند الوسط، و الأمريند الهامشييين هي كل سكان الأمريكتين غير الزراعيين ، و يتميزون رأس طويل و ملامح مغولية .اما امريند الوسط فهم أولئك الذين عرفوا الزراعة و ينتشروا من المكسيك شمالا إلى هضاب النديز في الليرو و بوليفيا،و يتصفون راس عريض و ملامح اق مغولية من الهامشييين و من المرجح أن المريند لم يعبروا مضيق بهرنج قادميين من آسيا الا بعد الألف الأربعين قبل الميلاد ، أي خلال العصر الحجري القديم الأعلى قبل معرفة الإنسان للزراعة.اما مغول المحيط الهادي فقد تكونوا نتيجة هجرات عديدة صغيرة من المغول شرق آسيا و مغول جنوب شرق آسيا.

و رغم الاختلافات في السلالات الإقليمية المغولية فإنها لا تصل إلى مرتبة الاختلافات في السلالات الإقليمية للقوقازيين و وربما يرجع ذلك إلى امتداد الوطن المغولي في أقاليم متشابهة في آسيا و حول المحيط الهادي عامة،بينما يتبعثر القوقازيون من شمال أوربا إلى الهند و إلى شرق و شمال إفريقيا.

ج- السلالة الزنجية

تأتي في المرتبة الثالثة من حيث عدد سكانها الذي يصل على 734 مليون نسمة ، و الصفات العامة لهذه السلالة هي: لون داكن للبشرة شعر الرأس صوفي ، و الشفاه غليظة و مقلوبة و الفم واسع.و المركز الرئيسي للسلالة هو إفريقيا المدارية التي يطلق عليها احيانا إفريقيا السوداء ، حيث يمثل الزنوج الغالبية العظمى من السكان . و ينقسم زنوج إفريقيا إلى عدة سلالات إقليمية اكبرها الزنوج الحقيقيون (السودانيون و زنوج البانتو).

ثانيا: السلالات المنعزلة:

و هي تمثل مجموعة من البشر قطنوا في مناطق جغرافية منعزلة و يصعب الوصول إليها ، و تعني عزلة هذه السلالات أن الوراثة تلعب الدور الرئيسي لصفات هذه المجموعات من السلالات.

و من بين هذه السلالات نجد جماعات البوشمن Bushmen و الهنتوت Hottentots التي تسكن جنوب إفريقيا ، و أهم ما يميزها قصر القامة ، و الشعر لولبي جدا و الأطراف النحيلة و الأرجل الصغيرة و لون البشرة يميل إلى الاصفرار و العيون ضيقة و تتميز النساء ببروز واضح في العجز(الأرداف).

و الاستراليون الأصليون Aborigines ، و يسكنون في غرب وسط استراليا و بعض جهات سرى لانكا(الفيدا) و هضبة الدكن (جماعات الكورمبا) بالإضافة إلى بعض الجماعات في جزيرة سخالين ، و أهم ما تتميز به هذه الجماعات من صفات لون البشرة الداكن ، و الراس الطويلة ، الأنف العريض ، و الشفاه غليظة و الشعر المموج الأسود.

و عناصر الأقزام Pygmies من السلالات المنعزلة ، و منهم النجريللو الذين يعيشون في حوض الكونغو و اعالي النيل ، و لون بشرتهم يتراوح بين الاصفر و البني ، القامة القصيرة ، اما النجريتو لا يختلفون في صفاتهم كثيرا عن المجموعة السابقة و يعيشون في جزر اندامان و في الملايو (السمانج) و ينتمي إلى هذه المجموعة أيضا أقزام نيوغنيا.

و يرى البعض أن السلالات المنعزلة تمثل البدايات الأولى للإنسان الحديث ، و لعل ما يؤكد ذلك الانتشار الواسع للمجموعة الاسترالية و الأقزام ، كما تبين الاختلافات في صفات كل مجموعة تطور مجموعاتها في أماكن متعددة أو هجرتها إلى مناطقها الحالية خلال مرحلة حديثة من مراحل تطور الجنس البشري.

يتدرج أكثر من 99% من سكان العالم تحت الأجناس الثلاثة التالية وان اقل من 1 % هم أصحاب المجموعة الأسترالية والكابية التي تتلاشى وتتناقص وأصبحت لا تعدو أقلية محدودة جداً ومنعزلة .

ثالثا: السلالات المهجنة:

كان من نتائج الكشف الجغرافية ظهور سلالات جديدة نتيجة التهجين و التزاوج في البيئات الجديدة بيم مجموعات سلالية متفاوتة مما اثر في تكوين اتجاهات سلالية جديدة. و قد لوحظ في الولايات المتحدة على سبيل المثال اختلافات واضحة بين سلالات المستوطنين و بين أصولهم الأوربية فالنسل الجديد غالبا أطول من الآباء ، كما تظهر تغيرات محسوسة في شكل الرأس.

و تمثل القارات العالم الجديد أهم مناطق العالم التي حدث فيها تغير واضح للسلالات القادمة من قارات العالم الجديد أو السلالات المحلية. ففي قارة امريكا الشمالية كان غالبية السكان المهاجرين من القوقازيين فتداخلت هذه السلالة بفروعها المختلفة مع الزوج و الآسوين و الهنود الحمر(الأمرايند). و لكن التمييز السلالي و اللوني قد قل كثيرا من نشأة خليط بين السلالات الجغرافية الكبرى. و مع ذلك فإن إختلاط الآسيويين و الهنود الحمر في الغرب قد حدث منذ فترة طويلة. كما ان العلاقات غير الشرعية بين البيض و الزوج قد ادت إلى تسرب جينات وراثية زنجية إلى البيض و جينات بيضاء إلى الزوج.

و في امريكا اللتية تعددت العناصر السكانية ذات الأصول المتباينة. لذا فإن الإقليم يطلق عليه إسم "المتحف الإثنوغرافي" للإشادة إلى هذا الخليط. و قد حدث الإختلاط بين سلالة البحر المتوسط

(الإسبان و البرتغاليون)و الزنوج الذين جلبوا من إفريقيا للعمل في المزارع الواسعة و بين الهنود الحمر، و قد أدى هذا الاختلاط إلى ظهور انواع مختلفة من السلالات المهجنة فادى اختلاط العناصر اللاتينية مع الهنود الحمر إلى تكون عنصر الممستيزور Mestizo خاصة في دول القارة الجنوبية، و يصل عدد المستيزو في الوقت الحاضر حوالي 120 مليون نسمة يكونون حوالي ثلث سكان القارة.و هم يمثلون اكثر من ثلثي سكان شيلي و فنزويلا و حوالي نصف سكان المكسيك و بيرو و بوليفيا.

و العنصر الناتج عن الاختلاط الهنود بالزنوج اقل العناصر في القارة و يسمى الزامبو Zambo و يرجع انخفاض نسبتهم إلى تواجد الزنوج كإحدى عاملة في الجهات التي يقل فيها وجود الهنود الحمر، فوجودهم معا اذن بعدد كبير امر نادر ، و ترتفع نسبة الزامبو في الجهات التي تحرك إليها الزنوج نحو الغرب في حوض الامازون و الجيانات الثلاث.

أما عنصر المولاتو Mullatto فهو نتاج تزاوج الورييون (اللاتين) بالزنوج و اهم سماتهم هو التدرج لون البشرة من السمرة إلى السواد وفقا لنسبة الدماء الاوربية. و عدد المولاتو غير معروف بدقة و إن كان اكبر مناطق تركيزهم في شمال شرقي البرازيل (ولاية باهيا) و السواحل الشمالية في كل من جواتا و سورينام و جيانا الفرنسية. و فنزويلا و اكوادور و كولومبيا و جزيرة كوبا.

و مهما كانت نسبة الاختلاط و نوعه بين سكان دول امريكا اللاتينية إلا ان دولة البرازيل تعتبر نموذجا فريدا لأنها تضم كل السلالات البشرية من القوقاز و الزنوج و مغول من جهة و كافة الأنماط المهجنة من جهة أخرى حتى ليصبح ما يقال عنها بانها المعمل العالمي للتجربة السلالية الكبرى The world's great laboratory for racial experiment.